

هل تعلمون معاناتنا؟
٢ تيموثاوس ٣: ١٠–١٢

سوريا

عدد السكان: ٢٤ مليون نسمة (تقديري)
العاصمة: دمشق
نظام الحكم: جمهورية رئاسية تحت إدارة حكومة انتقالية
رئيس الدولة: الرئيس المؤقت أحمد الشرع
الأديان: مسلمون ٨٠–٨٧٪، علويون ٧–٩٪، دروز ٣–٥٪، مسيحيون ٢–٣٪، ديانات أخرى ١–٢٪
نظرًا للهجرة واسعة النطاق، فإن هذه الأرقام تقريبية.

لا يزالون ينتظرون السلام

مسيحيون في بلد مُدمَّر

كانت السنوات الخمس عشرة الماضية كابوسًا مريرًا لجميع السوريين، ولا يزال أثره مستمرًا. فقد جلب الربيع العربي الأمل في إنهاء حكم الأسد، لكنه تحوّل في سوريا إلى حرب أهلية دامية. ولقي أكثر من ٥٠٠ ألف شخص حتفهم، ونزح أكثر من ٦ ملايين إلى خارج البلاد، فيما نزح نحو ٧ ملايين آخرين داخل سوريا.

وترافق تدمير البلاد مع تدهور كبير في أوضاعها الاقتصادية والإنسانية. فاليوم، يعيش تسعة من كل عشرة سوريين تحت خط الفقر، ويعتمد نحو ثلثي السكان على المساعدات الخارجية للبقاء على قيد الحياة. وقد أثرت هذه المحنة الهائلة على جميع سكان البلاد، بمن فيهم الأقلية المسيحية، باستثناء فئة محدودة من المقربين من النظام.

ونظرًا لانعدام الآفاق وتدهور الوضع الأمني، اختارت العديد من العائلات المسيحية الهجرة. فبينما كان المسيحيون يشكلون نحو ١٠٪ من سكان سوريا عام ٢٠١٠، لم يتبقَّ منهم اليوم سوى ما يقدَّر بنحو ٢٠٠ ألف إلى ٣٠٠ ألف مسيحي، أي ما يمثل نحو ٢–٣٪ فقط من إجمالي السكان.

القيادة الإسلامية المتطرفة

في أوائل ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٤، سقط نظام الأسد بشكل مفاجئ، وهو حدث احتفل به كثير من السوريين باعتباره تحريرًا وبداية جديدة. إلا أن العديد من المسيحيين وأفراد الأقليات الأخرى سرعان ما أعربوا عن مخاوفهم من أن يؤدي صعود قيادة إسلامية متطرفة إلى عودة القيود على الحريات وانعدام الأمان.

وقادت التحولات السياسية والعسكرية هيئة تحرير الشام، بقيادة أحمد الشرع، المعروف سابقًا باسمه الحركي محمد الجولاني. وقد شغل الجولاني سابقًا مناصب قيادية في تنظيمات جهادية، قبل أن ينفصل عنها ويؤسس جبهة النصرة، التي اندمجت لاحقًا مع جماعات إسلامية متطرفة أخرى لتشكيل هيئة تحرير الشام. كما أن عددًا من أعضاء الحكومة الحالية كانوا أعضاء سابقين في هيئة تحرير الشام.

وعلى الرغم من هذا التاريخ، سرعان ما حظيت الحكومة الجديدة بدرجة من الاعتراف الدولي، ورُفعت عنها عقوبات، وعُقدت لقاءات مع قادة عرب وغربيين.

العنف ضد المسيحيين والأقليات الأخرى

سرعان ما انعكس التوجه الإسلامي المتطرف للقيادة الجديدة في أعمال عنف واسعة النطاق ضد الأقليات. ففي مارس/آذار ٢٠٢٥، قُتل نحو ١٥٠٠ علوي على أيدي قوات الأمن ومقاتلين من عشائر سنية. وفي أواخر أبريل/نيسان وأوائل مايو/أيار ٢٠٢٥، تعرضت مناطق درزية في ضواحي دمشق لهجمات. وفي يوليو/تموز، امتد العنف إلى محافظة السويداء الجنوبية ذات الأغلبية الدرزية. وهناك أيضًا، فقد أكثر من ألفي شخص أرواحهم، وأُحرقت قرى، ونزح أكثر من ٢٠٠ ألف شخص.

وبعد أشهر من أعمال العنف، سقطت المناطق التي يسيطر عليها الأكراد في حلب وشمال شرق سوريا بالقوة في أوائل يناير/كانون الثاني ٢٠٢٦، مما أدى إلى نزوح مئات الآلاف مرة أخرى.

أما الهجوم الأكثر فتكًا بالمسيحيين، فكان الهجوم الانتحاري الذي وقع في يونيو/حزيران ٢٠٢٥ على كنيسة مار إلياس في ضاحية الدويلة بدمشق، وأسفر عن مقتل ٢٥ شخصًا.

ويهدد العنف الشعائر الدينية والتجمعات المسيحية بشكل متزايد. وفي أعقاب أعمال شغب وتخريب استهدفت متاجر مسيحية، أُلغيت العديد من مواكب أحد الشعانين في أنحاء مختلفة من البلاد عام ٢٠٢٦.

وإضافة إلى هذه الاضطرابات العنيفة، يؤدي غياب القانون والنظام في سوريا حاليًا إلى وقوع هجمات عنيفة ومميتة بصورة شبه يومية ضد أفراد الأقليات، ويتأثر المسيحيون بشكل خاص.

في عهد الأسد، كان المسيحيون قادرين في الغالب على ممارسة أنشطتهم الدينية والاجتماعية دون مضايقات كبيرة، وكانوا يتمتعون بدرجة من الأمان في أحيائهم. أما الآن، وبسبب المخاوف الأمنية، تُلغى الشعائر الدينية، ويتزايد تهجير المسيحيين من أحيائهم التقليدية على أيدي جماعات مسلحة وأفراد من خلفيات إسلامية. وقد تراجع شعور المسيحيين بالأمان بصورة حادة مرة أخرى.

ولا يزال اقتصاد البلاد يعاني من الركود، فيما تُعتبر العديد من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة غير فعّالة، بل وضارة في بعض الحالات، بحسب الخبراء. وعلى الرغم من التعهدات بمليارات الدولارات من الاستثمارات ورفع العديد من العقوبات، لم تُنفَّذ، بعد مرور أكثر من عام على سقوط النظام وتشكيل الحكومة الجديدة، استراتيجية واضحة وشاملة لإعادة الإعمار.

وقد أدى تزايد اضطهاد المسيحيين واستمرار الأوضاع المتردية في البلاد إلى موجة جديدة من هجرة المسيحيين، ولا سيما بين فئة الشباب. أما الذين بقوا في البلاد، فهم في الغالب عائلات فقيرة، وكبار السن، والمرضى، الذين يعتمدون بدرجة كبيرة على الدعم الخارجي.

وتقول هدى، وهو اسم مستعار لامرأة مسيحية:

«أعيش في المنزل مع والدتي البالغة من العمر ٨٣ عامًا وابني المصاب بشلل جزئي».

الحركات نحو المسيح

تُعدّ الحركات نحو المسيح، ولا سيما بين الأقليات غير المسيحية، مصدرًا للتشجيع والرجاء. فعلى سبيل المثال، يُعرف وجود عدد متزايد من المؤمنين من خلفية درزية.

وفي الشمال، يتزايد عدد الأكراد الذين يعتنقون المسيحية. وقد نزح كثيرون منهم عدة مرات خلال الحرب الأهلية، واضطروا مرة أخرى إلى ترك ممتلكاتهم في يناير/كانون الثاني ٢٠٢٦. ومع ذلك، ما زالوا متمسكين بإيمانهم بيسوع.

وقد دفع تجدد العنف في سوريا بعض الأكراد إلى البحث عن بدائل للإسلام وإيجاد رجاء جديد في يسوع المسيح. وبينما لم يكن يُعرف سوى عدد قليل من المؤمنين في مطلع الألفية، بدأت الكنائس الآن في النمو والازدياد.

ويقول راعي الجالية الكردية في حلب:

«في الماضي، لم يكن هناك مسيحيون أكراد. أما اليوم، فقد أصبح هذا واقعًا».

ومع ذلك، وبسبب انحدارهم من خلفية إسلامية، واجه هؤلاء المؤمنون مرارًا وتكرارًا العداء من عائلاتهم ومن جماعات إسلامية متطرفة. وفي ظل الحكومة الإسلامية الجديدة وغياب الحماية القانونية الكافية، أصبحوا أكثر عرضة للخطر من ذي قبل.

وبالمثل، يتعرض الدروز الذين اعتنقوا الإيمان المسيحي باستمرار للاضطهاد من جانب عائلاتهم. وباعتبارهم جزءًا من الأقلية الدرزية، فإنهم معرضون أيضًا للخطر بسبب هشاشة الوضع الأمني. ومع ذلك، فإنهم يعلمون أن الله معهم.

نصلي من أجل:

- ثبات المسيحيين في سوريا وتجدد رجائهم في المسيح القائم من بين الأموات.
- أن يتمتع المسيحيون بالرجاء، وأن يظلوا أمناء لدعوتهم ليكونوا نورًا في وسط مجتمعهم.
- شفاء الجرحى وتعزية المفجوعين والمتألمين.
- نمو حركة التقارب مع المسيح بين الأكراد والدروز، وازدياد البحث الروحي عن الحق بين العرب السنة.
- السلام والعدل والمصالحة، ومحاسبة المسؤولين عن الانتهاكات الوحشية التي شهدتها سوريا في الماضي.
- تحسن الأوضاع الإنسانية والاقتصادية، وعودة الاستقرار والأمان إلى البلاد.
- توبة مرتكبي أعمال العنف واهتدائهم، وأن تتغير قلوبهم.
- السوريين المنتشرين في أنحاء العالم، لكي يعرفوا المسيح وينقلوا رجاء الإنجيل إلى أهلهم وأصدقائهم في سوريا.